مراجعة كتاب

التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأُسريّة*

تأليف: هشام الطالب،[1] عبد الحميد أبو سليمان،[2] عمر الطالب[3]

إعداد: ماجد فوزي أبو غزالة**

يمثل الكتاب حلقة متصلة في بناء شخصية الفرد؛ سلوكاً وفكراً ووجداناً، لا سيما أن المؤلفين حرصوا على الإفادة من البيئة الأكاديمية من خلال الاطلاع على أحدث الدراسات العلمية المتصلة بالتربية الوالدية، بما تتضمنه من بيانات ومقولات وتقارير ودراسة حالات، مع الإفادة من التجارب الشخصية للمؤلفين في بلاد الشرق والغرب. فالعالم الإسلامي بهذا الدين يمتاز بشموليته في مبادئه التطوّرية وقوة دفعه الحضارية، وما يتضمنه منهاجه من تعاليم حيوية خالدة. ولا بدّ أنْ تُترجَم هذه المبادئ إلى سلوك، فالسلوك الإيجابيّ القويم هو الترجمة العملية للاعتقادات والتصورات، وهو الثمرة

---

* الطالب، هشام. وأبو سليمان، عبد الحميد. والطالب، عمر (2019). **التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية**، ط1، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

[1] دكتوراه هندسة كهربائية، جامعة بردو، الولايات المتحدة الأمريكية، رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن.

[2] دكتوراه علاقات دولية، جامعة بنسلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ومدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا سابقاً.

[3] دكتوراه علم اجتماع، جامعة شيكاغو، الولايات المتحدة الأمريكية، أستاذ علم الاجتماع في كلية الإمارات للتكنولوجيا بدولة الإمارات العربية، أبوظبي.

** دكتوراه إدارة موارد بشرية، باحث متخصص في قضايا التنمية البشرية، جامعة ملايا، يعمل مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، majed@iiit.org

تم تسلُّم المراجعة بتاريخ 20/ 3/ 2021م، وقُبِلت للنشر بتاريخ 25/ 7/ 2022م.

أبو غزالة، ماجد فوزي (2022). **مراجعة كتاب: التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأُسريّة. تأليف: هشام الطالب، عبد الحميد أبو سليمان، عمر الطالب**، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 28، العدد 104، 215–230.
DOI: 10.35632/citj.v28i104.5495

الحقوق كافة محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي 2022 ©

المرتجاة لنضج الوعي الفردي والجَمْعيّ في الحسِّ والشعور، فينتقل كلام التنـزيل الإلهي من صفحات الورق إلى صحائف القلوب، وينعكس أداء وعملاً خلّاقاً في الواقع، وترجمة حيّة في معاش الخلق وتعاملاتهم مع شركائهم في البيت والمجتمع والإنسانية الممتدة في عروق المكان والزمان.

فالكتاب ذو الأجزاء الثلاثة يتضمن سبعة عشر فصلاً؛ جاء الجزء الأول ليوضح حجر الأساس لمشروع الكتاب والذي تضمن سبعة فصول، كان أولها عن لَبِنة الأسرة وأهميتها ووظائفها، أما الثاني فقد ناقش التربية الوالدية السليمة: ماهيتها وكيف نطبقها؟، ثم تناول الفصل الثالث أهداف التربية الوالدية، وتلاه الفصل الرابع بشرح عن الهدف الأسمى للوالدية وهي تربية أولاد يحبون الله ورسوله، أما الفصل الخامس فقد تصدى للتحديات السائدة والهفوات التي تقع في الأسرة، فيما طرح الفصل السادس المفاهيم المغلوطة والخرافات الشائعة في التربية الوالدية، لينتقل في الفصل السابع إلى الأمور التي تصل لها الأسرة عندما تسوء الأمور. أما الجزء الثاني من الكتاب فأهميته لا تقل عن الجزء الأول في دور التربية الوالدية في ظل تطور نمو الأطفال، فقد تضمن خمسة فصول تناقش موضوعات متكاملة حول موضوع الأبناء الرُّضع، والمفاهيم المتعلقة بهذه الفترة، لذا تناول الفصل الثامن مفهوم الرضاعة الطبيعية، ثم تحدث الفصل التاسع عن دماغ الطفل واستخدامه وكيفية تفقده وسلامته، وانتقل الفصل العاشر للحديث عن بناء الشخصية ومراحل النمو منذ الرضاع إلى سن البلوغ، وكشف الفصل الحادي عشر عن التربية الصحية للأبناء، مثل النظافة والتغذية والتمارين الرياضية والنوم، وصولاً إلى الفصل الثاني عشر من حيث التربية الجنسية للأبناء، ليناقش الفصل الثالث عشر سؤالاً يدور في الأسرة، هل تختلف تربية البنين عن تربية البنات؟، أما الجزء الثالث فقد تمحور حول معدن الشخصية وبناء صفاتها الأساسية، وتضمن أربعة فصول: الفصل الرابع عشر تعليم الحب والصدق والأمانة والثقافة بالنفس واختيار الصحبة الصالحة للأولاد، ثم تناول الفصل الخامس عشر تنمية الشجاعة والإبداع والشعور بالمسؤولية، لينتقل إلى تعليم الاستقلالية للأبناء في الفصل السادس عشر، لينتهي الطرح في الكتاب بمستجدات العصر الحالي ويناقشها مع الكثير من الحلول والتمارين في

الفصل السابع عشر والأخير حول موضوع خطير عن الآثار السلبية للتلفاز والفيديو وألعاب الحاسوب والإنترنت والهواتف الجوالة.

وفي هذا السياق أدرج المعهد العالمي للفكر الإسلامي ضمن خططه في التأليف والنشر مجموعة من التصانيف والبرامج التي تتضمن المعارف والمهارات اللازمة للتواصل الحكيم مع الأبناء، لإقامة العلاقات الأسرية على الحب والتواصل، في رحاب مناخ البيت الأسري الرحيم الذي يحقق السعادة لأفراد العائلة التي يكون فيها الأبناء رجالاً ونساءً على مستوىً عالٍ من الأمانة والشجاعة والحب والإيمان، يحدوهم مناخ من الحرية والتفكير الإبداعي والإحساس بالاستقلالية المسؤولة.

واستجابة لطلب من المعهد، قام الدكتور إسماعيل الفاروقي-رحمه الله- عام 1982 بتأليف كتاب وُسم بـ"التوحيد وآثاره في الفكر والحياة"، وهو دليل مهم حول العقيدة الإسلامية والإيمان والحضارة. وفي عام 1991 نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية (IIFSO) الدليل الثاني، الذي لقي نجاحاً واسعاً، وهو كتاب "دليل التدريب القيادي للعاملين المسلمين"، الذي يهدف إلى تعليم المهارات الشخصية والجماعية والقيادية الفعالة. ويعدُّ هذا الكتاب: (التربية الوالدية؛ رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية) هو الدليل الثالث في هذه السلسلة. وقد وضع مؤلّفو الكتاب: هشام الطالب، وعبد الحميد أبو سليمان، وعمر الطالب عدداً من الغايات التي حَفَزَتهم إلى تأليفه، وهي:

- تأكيد أهمية التربية الوالدية الصالحة في تنشئة الأبناء والأُسر، وذلك بجعل مسؤولية التربية الوالدية على رأس الأولويات، ليس على المستوى النظري فحسب، بل على التطبيقات العملية أيضاً.
- تعليم الآباء "كيف" يكتسبون المهارات التربوية اللازمة لتنفيذ آليات الوالدية الصالحة؛ من أجل تنشئة مواطنين صالحين يتمتعون بقوة الشخصية وحسن الخلق، ويمتلكون الصفات اللازمة ليكونوا لَبِنات أساس في بناء المجتمع والحضارة الإنسانية في المستقبل.
- مساعدة الآباء في توفير البيئة المنـزلية للأسرة السعيدة المتناغمة القادرة على أداء وظائفها، التي تتمتع بقدرٍ عالٍ من الترابط والتماسك والتكاتف والتعاون بين جميع أفرادها.

وقد صمم المؤلفون في نهاية كل فصل عدداً من الأنشطة والتدريبات اليسيرة يؤديها الآباء والأبناء معاً، وتهدف هذه التدريبات -في المقام الأول- إلى تشجيع الحوار والتواصل المستمر بين أفراد الأسرة؛ إذ يفهم بعضهم بعضاً بأسلوب أفضل، ويستمتعون بوقتهم معاً، ويتشاركون في اتخاذ القرارات، ويتبادلون المهارات. ومن شأن هذا أن يساعد في إقامة علاقات أسرية رحيمة مترابطة، وخلق بيئة منـزلية سعيدة. وقليلٌ من هذه الأنشطة يتطلب الرجوع إلى مصادر خارجية، مثل: استخدام مكتبة عامة أو استشارة آباء آخرين أو طلب نصائح مهنية ومتخصصة. وأوصى المؤلِّفون بأن تمارس الأسر هذه الأنشطة داخل البيت أو حول مائدة الطعام خارج المنـزل (الطالب، وآخرون، 2019، ص25).

والمفهوم الذي يتضمنه العنوان (التربية الوالدية) يحمل دلالات التشاركية في عملية التنشئة والتربية، ويستوفي العناصر التي تقوم عليها هذه التشاركية، فضلاً عن أنَّ دلالة التشاركية قد جعلت الكتاب في منأىً عن اللغة الخطابية والوعظية. فالكتاب لا يعالج مشكلات قائمة ويقدِّم لها حلولاً، وإنَّما يبني مهارات وتقنيات تؤسِّس لتنشئة جيل صالح سويّ حتى قبل أن يتموضع الجنين نطفةً ونموّاً في الأرحام. فالعلم والفن والروحانية في التربية والتنشئة، تقوم على أساس مكين، وحجر أساس، يأخذ بالحسبان أهمية الأسرة ووظائفها وقيّوميتها على بناء صحيٍّ في الاختيار وترتيب الأدوار والعلاقات، ليتحقّق الوعي الكفيل على التربية الوالدية السليمة وكيفية تطبيقها وَفْق أهدافٍ واضحة المعالم في مقدمتها حبُّ الله ورسوله، وهو ما يساعد في التصدّي للتحدّيات والهفوات التي يمكن أن تندَّ عن أحد أطراف العلاقة التشاركية، التي ينبغي عليها الازورار عن المفاهيم المغلوطة والخرافات الشائعة في التربية الوالدية. فالكتاب -من قبلُ ومن بعد- نتاج خبرات حياة المؤلفين الثلاثة عمليّاً في العالم الإسلامي والعالم الغربي، وهو يسعى إلى أن يقدّم حكمة الوحي الإلهي والهدي النبوي، إضافة إلى الإنجازات البشرية في كل من التراث الإسلامي والثقافة الغربية؛ وفقاً لما تضمّنته مقدمة مؤلِّفيه (الطالب، وآخرون، 2019، ص29).

وميزة هذا الكتاب أنَّه يُدخل في كلِّ عنوان كبير تسمّى به الفصل، عناوين فرعية، هي في لُبّ القضية المركزية التي يستدرج فيها القارئ للوقوف على أخصِّ خصائص التنشئة والتربية الوالدية،

على النحو الذي نُنمْذجُ فيه لمنهجية الكتاب في وصْله بين الجزئي الكلّي على نحوٍ تكاملي. لقوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: 23-24]، ثم قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، وفي مجال التربية الوالدية نقول: "رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً"، ففي حين يتمركز العنوان الأكبر للفصل الأول (الطالب، وآخرون، 2019، ص35)، للحديث عن الأسرة وأهميتها ووظائفها، نجده مُصدَّراً بمقدمة عامّة تنفسح لها الكلمة للحديث عن مرحلة الأبوة والأمومة، وتأثير الأولاد في الاستقرار الأسري، وحجم الأسرة في الولايات المتحدة وبريطانيا بين الماضي والحاضر، والأسرة أحادية الوالد، والمعاشرة دون زواج، وأسس نجاح الوالد المفرد، والإسلام والطلاق، وأهمية الأسرة في الإسلام، وأهداف الأسرة في القرآن، والحركات الإصلاحية والتربية، ومدى الحاجة إلى نظام تربية وتعليم سليمين، ثم ينتقل للحديث عن الأسرة في أمريكا والخرافات السائدة حول التربية الوالدية في أمريكا، مقدِّماً دروساً من مجزرة مدرسة (كولومباين) الثانوية في ولاية كولورادو، وتعليم الأولاد القيم الخلقية: المناظرة بين المحافظين والليبراليين، عاقداً مقارنة عامة بين الأسر في البلاد الإسلامية والولايات المتحدة وبريطانيا، دون أن يتجاوز الحديث عن التأثير الغربي على التربية الوالدية في العالم الإسلامي. ولكي تكتمل المقارنة بين ثقافة الشرق في قضايا التربية الوالدية وفي ثقافة الغرب، يستوفي الحديث عن التربية الوالدية في بريطانيا والولايات المتحدة، ويتبع هذا كلّه تفريعات ونماذج حيّة ومشهودة في عالم الأمم والحضارات.

ومن تعريفات الأسرة الكثيرة التي ينبّه إليها المؤلفون يبدو أنّ الأسرة ما هي إلا منـزل مُصغَّر للعبادة، وحكومة مُصغَّرة، ومدرسة صغيرة للعلم والتعلُّم ضمن نمط الحياة بكل ما فيها من تغيُّرات وصعوبات وتحدّيات، وذلك لاستيعاب تأثير الأولاد في الاستقرار الأسري، الذي ينأى بالوالدين عن التكيُّف مع الإرهاق النفسي والجسدي والعاطفي، على تفاوت بين الأم والأب، ولا سيما عاملي السهر والقضايا المالية. ويأتي هذا كلّه مشفوعاً ببعض الاقتراحات لمساعدة الأزواج في إدارة مرحلة

الانتقال إلى الأبوة والأمومة، كي تكون وطأة التغيير والتوتر أخف على الأسرة من كونهما زوجين إلى أب وأمّ.

وتبدو الأرقام الإحصائية التي يقدِّمها المؤلّفون ذات دلالة؛ إذ إنهم يفسّرون مؤشرات الانخفاض والازدياد في هذه الأرقام، فالرّقم لا يعمل خارج السياق الثقافي والاجتماعي والاقتصادي (الطالب، وآخرون، 2019، ص43)، وهو ما يقف عليه القارئ عند الحديث عن حجم الأسرة في الولايات المتحدة وبريطانيا بين الماضي والحاضر، وانعكاسات العمل وسن الزواج على الاستقرار الأسري أو ما يناقضه بما في ذلك طبيعة النظرة إلى المعاشرة دون زواج، فقد "أقرت دراسة أمريكية قامت بها الكلية الأمريكية لطب الأطفال أن النساء اللواتي أنجبن أبنائهن دون زواج هن أكثر عُرضة للانفصال عن شركائهم، بنسبة أربع مرات، في أول ثلاث سنوات بعد الإنجاب عن النساء المتزوجات. وقد أوضحت الدراسة أن المعدل المتزايد للتعرض للانفصال يختلف؛ إذ يمثل الضعف في ما بين الأزواج الأمريكيين من أصل أفريقي، ويتضاعف ثلاث مرات في ما بين الأمريكيين من أصل مكسيكي، ويصل إلى ثمانية أضعاف في ما بين الأمريكيين من أصل أوروبي" (الطالب، وآخرون، 2019، ص46). وفضلاً عن هذا كلّه تبدو البيانات الإحصائية من مصادر عدة وفي تواريخ متباينة؛ مما يمنح القارئ فكرة عن الاتجاهات العامة السائدة، وتمنحه الأمل في القدرة على التغيير. والإحصائيات مع أنها أداة مهمة وأساسية في اتخاذ القرارات السليمة لكنها تتغير من حين إلى آخر، وإيرادها يبدو من باب الاسترشاد العام لا أكثر، فهي ليست حقائق ثابتة مطلقة.

ولهذا يستطرد المؤلّفون في ربط هذه القضايا ببعض الحقائق ذات الأثر السلبي على الأولاد في الأسر أحادية الوالد، فقد تطرق الفصل الخامس لأهمية التصدي للتحديات السائدة من حيث الممارسات الشاذة والخارجة على القانون. وهو ما يقتضي تلمّس أسس نجاح الوالد المفرد لتقليل الصراعات داخل الأسرة. ويتمّ تكييف الموضوع هنا بالحديث عن الإسلام والطلاق، وحتى لا يبدو التحيّز لثقافة على حساب ثقافة أخرى، يقدم المؤلفون الضوابط التي تحكم العلاقة بين الزوجين، ويقدِّمون نماذج حيّة لهذه العلاقة، مع الأخذ بالحسبان قضية الأولاد عند الشروع في اللجوء إلى أبغض

الحلال، وذلك استئناساً بالآية الكريمة: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ٢٢٩﴾ [البقرة: 229] (الطالب، وآخرون، 2019، ص49).

ولم يكن حديث المؤلِّفين عن الحركات الإصلاحية وعلاقتها بالتربية حديثاً اعتباطياً، ففيه كفايةٌ للقارئ، يقف من خلالها على الجوانب ذات الاتصال بالصراع المضمر والمعلن بين الرؤى والأفكار التقليدية والدينية والعلمانية في استخدام المنهجيات ذات العلاقة بالتنشئة والتربية الوالدية. وفي الوقت نفسه تكشف قضية الإصلاح مدى الحاجة إلى نظام تربية وتعليم سليمين في العالم الإسلامي، إننا إذا أردنا إحياء الأمة يتعين تغيير طريقتنا في تربية الأولاد ونظام التعليم في المدارس، والحاجة ماسة للتركيز على مراحل الطفولة المبكرة، ويستحسن أن نبدأ في سبيل ذلك بمخاطبة أول المعلمين، وهما الوالدان؛ معلما القِيَم، ومُشَكِّلا الظلال والملامح الأولى للشخصية، من أجل النجاح في هذا المسعى، "فقد كان الصحابة الأوائل رضوان الله عليهم بالغين ناضجين عندما خاطبهم النبي ﷺ، وكانت سمات شخصياتهم الأساسية قد تشكلت من مرحلة الطفولة، فقد تربوا على الحرية والبسالة ولم يتعرضوا للاضطهاد" (الطالب، وآخرون، 2019، ص55).

فالأهداف والوسائل كلاهما متحقق في النماذج الواقعية والأرقام والأنشطة التي يعرضها الكتاب، وهي حقائق تربوية يمكن أن يفيد منها المسلمون في ديارهم، وتفيد منها الجاليات المسلمة في الغرب. وفي ما يخصّ الجاليات يقدِّم المؤلفون دراسة عن الصدمة الثقافية عند التنقّل بين الشرق والغرب، وكيفية معالجتها لتظلّ الأسرة المسلمة على سواء الصراط في تفاعلاتها الاجتماعية والتربوية لحديث الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

وتبدو منظومة القيم الأمريكية في التربية صادمة حتى لدى المشتغلين في الأدبيات التربوية، ذلك أنها تعلي من شأن الفردية والتمركز حول الذات، فخرج الأبناء على كلِّ سلطة وشاب سلوكهم التمرد

والعصيان، ففضلاً عمّا تركته أدبيات إدلر في مناهج علم النفس التربوي، فقد عاضدت القصص والمسلسلات التلفزيونية في حذف مفهوم الطاعة من قاموس الفرد الأمريكي. وهنا يضع القارئ يده على مجموعة من الخرافات السائدة في التربية الوالدية في المجتمع الأمريكي (الطالب، وآخرون، 2019، ص59–62)، وهي استنتاجات معلّلةٌ بآراء خبراء ومختصين تربويين؛ ما يجعلها تتمتع بموثوقية ومصداقية عالية نظرياً، وكذلك عملياً من خلال استقراء معطيات نتائجها في الحياة الأمريكية المنظورة، وهو ما يدعو إلى التساؤل: "ما الذي غيّر الأسرة في أمريكا بعدما كانت مجتمعاً كاملاً متضامناً إلى كونها مجموعة أفراد شبه مستقلين، كل يسعى إلى تحقيق رغباته الذاتية؟" يضع المؤلفون اللوم على كثير من علماء النفس الأمريكيين في العصر الحديث؛ إذ لم يكن جلُّ اهتمامهم ينصرف إلى الأسرة أو الزواج، بل إلى الفردية والانفصال (الطالب، وآخرون، 2019، ص61).

ويقدِّم الكتاب شواهد لعلماء تربويين على هذا المنشط: فعلى سبيل المثال، أطلق ألفريد أدلر، الذي يعد أبا الأمريكيين المتفائلين في علم النفس، على نظريته "علم النفس الفردي" (دراسة إنسانية للدوافع والعواطف والمشاعر والذاكرة في سياق خطة حياة شاملة للفرد) (الطالب، وآخرون، 2019، ص61).[4] ومثال آخر في التركيز على موضوع الفردية ما يؤكده الدكتور ساردار تنوير (أستاذ التربية في جامعة سينسيناتي بولاية أوهايو) من أن مفهومَي "أنا" و"نفسي" يتم تدعيمهما بقوة داخل الفصول الدراسية؛ إذ يقول المعلمون للطلبة: "عليك أن تقرر بنفسك، وليس والداك يقرران نيابة عنك"، و"افعل ما تشاء". ومثال ثالث على ذلك، قالت فتاة لجدتها: "لا تلقِ عليّ الأوامر، فأنت لست والدتي"، وردّت الجدة: "لكنني والدة والدتك" (الطالب، وآخرون، 2019، ص61).

وهذا الذي سيق في مضمار الكتاب في الفصل الثاني يسمح بعقد مقارنة عامة بين الأسر في البلدان الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وذلك في سبيل إظهار التحديات التي تواجهها الأسر، بغضِّ النظر عن المكان الذي تعيش فيه. فبعض الأسر تواجه مشكلات أكثر خطورة من غيرها، فالتحضر والتصنيع والعلمنة لها تأثير كبير على الأسر التي تعيش في المدينة. وهو ما يفصح

[4] ألفريد أدلر (Alferd Adler) طبيب عقلي نمساوي، مؤسس مدرسة علم النفس الفردي.

عنه العنوان الباحث في التأثير الغربي على التربية الوالدية في العالم الإسلامي، فالممارسات الأسرية العلمانية ذات أثر كبير على الأسر المسلمة بسبب تحكم وسائل الإعلام الغربية والهيمنة التعليمية للغرب على هذه الأسر.

وقد أجرى مؤلفو الكتاب مقارنة بين القيم الأخلاقية العقدية والقيم الأخلاقية المتلائمة لمصطلحات الحقيقة، والعدالة، والحب، والشجاعة، والصدق، والمسؤولية. وهذه القيم تقوم على مفهوم العقيدة؛ إذ إنها تسبق القيم الأخلاقية المتلائمة، وهما ليستا دائماً متوافقتين ومتماثلتين، جراء الاختلاف العقدي بين الناس، وما عليه اختلاف تصوراتهم لما هو موائم من القيم الأخلاقية، ففي المنظور الإسلامي القيم المتلائمة أو المناسبة هي التي تصدقها العقيدة باعتبار الوحي المصدر الأول للتلقي في ما ينظم حياة الإنسان، لكن ليست كل المجتمعات تدين بالإسلام، فالتمتع في الحياة في هذا العالم غاية بعض المجتمعات، أما الغاية المتوازنة التي ينشدها المسلمون؛ فهي تحقيق سعادة الحياة الأبدية في الآخرة بالعيش حياة طيبة في هذا العالم، وهذا يعني أن تحقيق النجاح في الحياة الآخرة لا يتعارض مع الحياة الهنيئة الطيبة في الدنيا؛ فالنجاح في ذلك العالم لا يكون بإهمال هذا العالم لقوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص: 77] (الطالب، وآخرون، 2019، ص73).

ولا شكّ أنّ كلّ أسلوب من هذه الأساليب يترك أثره الإيجابي أو السلبي، مما يتصل بالسعادة والثقة والتوازن الاجتماعي، ومواجهة المشكلات، وضبط النفس، وقلّة الكفاءة... وغيرها من القدرات والمشاعر. فتنشئة الأبناء في التوجُّه العام للكتاب تسعى إلى تحصينهم ليكونوا أصحاء عاطفياً ونفسياً وعقلياً، فالتنشئة السليمة لا تكون إلا بالتحاور والتشاور والمحبة المتبادلة.

وتستدعي تنشئة الأبناء تحديد الأهداف والمنطلقات وترسُم الغايات التي تهدف إليها التنشة، وهي غايات لا بدَّ أن يتواءم منظورها التعليمي في المدرسة والجامعة مع منظورها الأسري في البيت، ليتحقق التكامل المنشود في عملية التنشئة. وهنا لا بد من أخذ التحديات والعقبات التي تواجه التربية

الوالدية، وتقديم الحلول المناسبة لها بالحسبان. وهو ما فعله الكتاب في أكثر من موطن، دون أن يغفل مؤلفوه لفت النظر إلى أثر الموروث الشعبي وما يتضمنه من مقولات شعبوية شائعة تفتُّ في عضد المصلحين سواءً كانوا آباءً أو مفكرين أو دعاة حكمة وخير. ومع كل التحديات، تبقى التربية الوالدية تجربة ممتعة، وقابلة للتنفيذ والتطبيق ومليئة بالمكافآت الذاتية لكلا الوالدين.

يرى مؤلفو الكتاب بأن التعليم المدرسي في المرحلة الثانوية يجب أن يتضمّن مواد في التربية الوالدية؛ لأن سبعة من أصل عشرة من الناس يرون أن التربية الوالدية هي موضوع ينبغي أن نتعلمه وندرسه (الطالب، وآخرون، 2019، ص94). ولنخرج بتربية والدية سليمة لا بدّ من وضع أهداف صحيحة لها، وخطوات تطبيقها، ووسائل متاحة لتفعيل القيم وتجسيدها في العلاقات بين أفراد الأسرة. وقد وضع المؤلفون أيضاً مخططاً لأهداف التربية الوالدية يتضمّن الأهداف والقيم والوسائل؛ لتحقق الأسرة غايتها، ومنه تنطلق جملة من الأنشطة التي تعين أفراد الأسرة لأمنيات سعيدة وتنشئة قادة أتقياء صالحين للمجتمع على النحو الآتي (الطالب، وآخرون، 2019، ص102):

مخطط أهداف التربية الوالدية: الأهداف، القيم، الوسائل

الأمنية الأولى: أسرة سعيدة (قرة أعين)	الأمنية الثانية: تنشئة قادة أتقياء صالحين (للمتقين أماماً)			
	(1)	(2)	(3)	(4)
	القوة الجسدية والصحة واللياقة البدنية	الصفات الشخصية (المعدن)	العلم والحكمة والإيمان	المهارات: القدرات المهنية
•تواصل •ثناء/ نقد بنّاء •التوجهات •المشاعر •الهدوء/ الغضب	•اختيار الزوج/ الزوجة •نمو الطفل ومراحله	•الشجاعة •الحب •الصدق •الحرية •المسؤولية	• التربية/ التعليم •الواجبات المدرسية	•القراءة والكتابة •مهارات الحاسوب

•اللمس، القبلة، المعانقة، البهجة، المزاح •التفاهم المتبادل •قضاء الوقت معاً •البدائل عن التلفاز والهاتف الذكي النقّال •اجتماعات دورية للأسرة •الوجبات المشتركة •إدارة التوتر/ الضغوط •الألعاب والأنشطة •المشاركة الفعالة مع الأولاد	•الرضاعة الطبيعية •معجزة الدماغ •الصحة: التغذية والرياضة والنوم •الجنس الآمن الحلال •تجنب المسكرات والمخدرات والتدخين	•الاستقلالية •الإبداع •احترام الذات والثقة بالنفس •الأمانة •الاحترام •الصبر •التواضع	•التعزيز والتشجيع والتمكين للأطفال •الانضباط مقابل العقاب •الإيمان •الهوية •الأسرة الممتدة	•الأعمال المنـزلية •إدارة المال والوقت •العطاء والكرم •الدعاء •فن اتخاذ القرار

لذا جاءت المحبة الأسمى في التربية الوالدية لله ولرسوله، وقد أفرد المؤلفون فصلاً عن هذا الهدف السامي، وتضمن تأكيد أهمية غرس بذور الإيمان في نفوس أبنائنا، وحفظ الثقافة عندهم لمواجهة ضعف المشاركة في القضايا العامة، وغرس حس المسؤولية لديهم، ومعالجة الضعف والخوف، وبناء النظرة الكونية لديهم بالطريقة المتوازنة، وبناء النهج الحكيم من خلال تعليم أبنائنا حب القرآن الكريم والصلاة والآداب الرصينة، وتعليم الأولاد فن التوبة، وأهمية اكتساب الحكمة والمعرفة من سير الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومعرفة الذات بخصوصية للمسلمين والعرب عن غيرهم من المجتمعات الأخرى. لينتقل الكتاب إلى جزء مهم في حياة الوالدين وهي في الوقت نفسه ممتعة وقابلة للتنفيذ والتطبيق ومليئة بالتحديات والتجارب التي قد تمنح الأسرة مكافآت (الطالب، وآخرون، 2019، ص298).

عالج الكتاب مشاكل كثيرة تواجه الوالدين في تربية الأبناء بسبب تأثرهم بالبيئة الخارجية المحيطة بهم من خلال وسائل الإعلام ووسائط التواصل الاجتماعي، مما يؤدي إلى سهولة تأثرهم بالخرافات والمفاهيم المغلوطة واكتساب التقاليد بمختلف حالاتها، فضلاً عن التقليد الأعمى

للآخرين بسبب التأثر بهم، وبناء طموح وهمي، وأمنيات خيالية، ومقارنة خاطئة مع الآخرين؛ مما ينبي عليه علاقات غير حسنة. وتوجه المؤلفون إلى توجيه الوالدين بأساليب مبتكرة ورد ذكرها في نشاطات متنوعة في كل فصل، تعطي المتلقي للمادة العلمية فاعلية أكبر في ممارسة هذه النشاطات لغرس القيم الأسرية بصورة صحيحة، ومواجهة الآفات ضد الجيل الناشئ بسهولة وبحكمة ورشد. تُعدُّ مرحلة المراهقة مرحلة مهمة؛ لما تمتاز به هذه المرحلة من انفراد في شخصية المراهق قد تصل إلى التنمُّر، وعدم تقبل الآخر، وسرعة الغضب، وعدم التواصل الجيد مع ا لآخرين؛ مما يجعل المراهقين يتمردون على الأسرة، ومن ثمّ تخرج السيطرة من التربية الوالدية وفق الوسائل التأديبية المعروفة لديهم (الطالب، وآخرون، 2019، ص153).

ومن أجمل ما وصفه المؤلفون عن التربية الوالدية بأنها ملكة طبيعية، تحمل على عاتقها غرس القيم الأسرية العليا، ومنها: احترام كبار السن وعامة الناس، وتقبل الاختلافات بين الناس، وأدب الاختلاف، والتمسك بالخير، وتقديم الوفاء والالتزام والإيثار، والعطاء والحب والمساعدة، وخدمة المجتمع.

تناول الجزء الثاني من الكتاب قضايا الطفولة، والرضاعة، وأهمية العناية والرعاية الوالدية في هذه المرحلة؛ لأن شخصية الإنسان تبدأ في هذه المرحلة بالبناء، كما أكد الخبراء في مؤتمر البيت الأبيض الذي عقده الرئيس الأمريكي السابق كلينتون أن: "عقول الأطفال تنشط من وقت ولادتهم، وتتشكل حسب تجاربهم الأولى" (الطالب، وآخرون، 2019، ص165).[5] لقد تناول هذا الفصل جزءاً كبيراً من الرضاعة في القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى الفوائد العلمية التي تعود على الأسرة من تحقيق الرضاع الكامل للطفل، وقد أورد القرآن الكريم مواضع كثيرة وفي أزمان مختلفة بأهمية إتمام الرضاع؛ لأن دماغ الطفل يحتاج إلى تطور الخلايا العصبية والشبكات الدماغية -البصر والصوت والحركة- ولكي نحدث التغيير في دماغ الطفل قبل بلوغه لمرحلة الدخول للمدرسة يجب أن يقوم

[5] تطرق الكتاب لهذه التجربة وفق دراسة نشرت عام 1997:

Begley and Wingert, "Teach Your Parents Well" Newsweek, 28Apr.97

الوالدان بتهيئته للمتغيرات التي تحدث للدماغ في الأنماط الثلاثة؛ المنطقي، واللغوي، والموسيقي، مع تبسيط الرؤية الإسلامية له في صور وأشكال وقصص تمثيلية، تُعين الوالدين في تحقيق تطور دماغ الطفل وَفْق البيئة التي يعيشها، مع تشجيعه على السلوك الحميد، وتوفير المناخ الإيجابي المعزز والمستشرف للمستقبل، ليبقى السؤال المطروح دائماً: هل نقرر نجاح الإنسان قبل سن الخامسة؟(الطالب، وآخرون، 2019، ص190)

ويُعدّ الفصل العاشر للكتاب من أهم الفصول في بيان دور الوالدين في بناء شخصية الأبناء في مراحل النموّ لهم، مثل: الشجاعة، والإبداع، والصدق، والأمانة، والحب، والمسؤولية، والاستقلالية، والحرية. وهي مكونات عميقة ولها جذور في تكوين شخصية الأبناء، فإن مراحل نموّ الإنسان وتطوره في القرآن الكريم تُعدّ من المعجزات التي وردت على لسان الرسول ﷺ، من مرحلة الإخصاب إلى الحمل، ثم الإنجاب إلى مرحلة الشيخوخة، وقد أكد المؤلفون أهمية استثمار مراحل النموّ والتطوّر في حياتهم لبناء هذه المفاهيم، الرضاع في أول سنتين، والحب والخوف من الله، والحفظ عن ظهر قلب، والتحفيظ والحساسية للمراهقين، والتركيز على بناء الهوية وتعلم لغة ثانية، فإن أفضل هدية يمكن أن يهبها الوالد إلى الطفل هي معدن الشخصية الحسن (الطالب، وآخرون، 2019، ص197)، أشار المؤلفون إلى منظومة ثلاثية للبناء الخُلقي الذي يهدف إلى تربية الأولاد؛ لإعداد بالغين مستقلين بذاتهم، ومستشعرين أهمية المسؤولية؛ أي مواطنين صالحين ومصلحين حسب الشكل الآتي (الطالب، وآخرون، 2019، ص195):

حظيت التربية الجنسية للأبناء بالفصل الثاني عشر من الكتاب، ونوقشت فيه مسائل مهمة عن مدى خطورة العلاقات الجنسية غير المشروعة، والعبرة من العقوبة الشرعية فيها، ويُعد هذا الفصل مثلاً للدراسة المقارنة بين التجارب الغربية والعالم الإسلامي في تعريف التربية الجنسية وتطبيقاتها، وما هي الأحكام والضوابط التي تفرضها أمريكا وبريطانيا بوصفهما مثالين، والحكمة في التشريع الإسلامي من تحريم العلاقات الجنسية الخاطئة. فالمهمة الأساسية في هذه الثقافة غرس هذه القيم في الأبناء تأتي من الوالدين، فالمراهقون قبل وقوعهم في المشكلات الأخلاقية بين الجنسين كانت لهم تنشئة وتربية جنسية عقيمة، كان بالإمكان تفاديها بالحلول الإسلامية التي تأتي بجوانب وقائية منها: الحياء، وآداب اللباس، والاختلاط بحدود، وعدم الخلوة، والحد من ضغط الأصدقاء، والزواج المبكر، وحماية الأبناء من الاعتداء الجنسي (الطالب، وآخرون، 2019، ص290).

وتُعد المفارقة الطبيعية في الغريزة البشرية لدى الوالدين هي تربية الأبناء حسب العاطفة نحوهم والمرتبطة بالمشاعر الإنسانية لدى الآباء أو الأمهات. والسؤال الذي تناوله الفصل الثاني عشر للكتاب هو: هل تختلف تربية البنين عن تربية البنات؟ (الطالب، وآخرون، 2019، ص301) نعم، تختلف؛ لأنها تحمل فروقات طبيعية، تبدأ من الحكمة الربانية، ثم أولويات منطقية، ثم احتياجات خاصة بكل جنس، ثم الحقوق العقلانية للجنسين. ومن أهم الجوانب لتنشئة جيل متميز هو احترام كل جنس للآخر، وهذا ما يشكل الفرق بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي في التربية الوالدية مع مراعاة الجنس في هذه التربية؛ لأن المساواة بينهما دون المنهج الرباني وبمطلق العموم سيبني مجتمعاً خالياً من التوازن الطبيعي، وهذا ما وجدناه في العلاقات المثلية المشينة فضلاً عن وجود رجال مخنثين ونساء مسترجلات، وستصبح الحياة فيها خلل كبير في التنشئة الأسرية السليمة وخالية من التربية الوالدية الرشيدة، فقد حسم المسألة القرآن الكريم المسألة بقوله جل من قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: 32] (الطالب، وآخرون، 2019، ص301).

وتميز الجزء الثالث للكتاب بمناقشة الشخصية وبناء صفاتها الأساسية مثل (الطالب، وآخرون، 2019، ص332): تعلم الحب، والصدق، والأمانة، والثقة بالنفس، واختيار الصحبة الصالحة للأولاد،

وتنمية الشجاعة، والإبداع، والشعور بالمسؤولية، وتعليم الاستقلالية، مع بيان أثر التقنيات القديمة والحديثة المؤثرة سلباً على تفكير وسلوك الأطفال، فقد كان للتلفاز والفيديو في الماضي أثر كبير في إحداث تغيير ثقافي للمجتمع، والآن في القرن الحادي والعشرين تعدّ ألعاب الحاسوب والهواتف الذكية من أخطر التقنيات التي ستحدث تغييراً في البناء العقلي والفكري للجيل القادم.

لذا، فإن الحب هو من أعظم الهدايا التي يقدمها الوالدان للطفل أثناء الظروف الحلوة والمرة التي تواجههما في الحياة، فقوة محبة الوالدين هي من أشد القوى تأثيراً، فالأطفال يكتسبون الثقة بأنفسهم من حب والديهم واحترامهما لهم، فقد قدّم المؤلفون نصائح مفيدة للآباء والأمهات، لمساعدة الأطفال على تكوين شخصية مُحِبة (الطالب، وآخرون، 2019، ص301).

إن تكامل صفات الشخصية مع النظرة الكونية الشمولية تتجسد في تعليم الصدق والأمانة أثناء الكلام في السياسة، والدين، والعلوم، واللغة، والتجارة، وغيرها من المهام التي توكل إلينا؛ كالموظف أو العامل أو التاجر أو المهني أو العمل الحر، فهذه سلوكات متكاملة في الشخصية التي تُبنى على التربية والفكر السليم. ويُعدّ تبادل الخبرات والتجارب ومشاركة الأطفال بالكلام عنها لمعرفة العواقب الناجمة عن الكذب على سبيل المثال وما علاجه، وما العبر المستفادة من الكذب، الذي يعدّه المجتمع شيئاً مذموماً وأن الرسول محمدﷺ لُقّب بالصادق الأمين قبل النبوة، وأثر ذلك في حمله للرسالة ونشره لدين الإسلام. ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في موضوع اختيار الأصدقاء الصالحين، ومنهم من هو صاحبك أو رفيق دربك أو شريك لك في أمور كثيرة، مما يتوجب على الوالدين غرس هذه القيمة في حياة أبنائهم؛ لأنّ الحياة الاجتماعية مهمة في أن تنشئ عند الأبناء شخصية القيادة، وتنمّي الشجاعة والإبداع والشعور بالمسؤولية لديهم، وهذه الصفات تنمو مع أبنائنا مع مراحل النمو.

في هذا الجزء الذي ركز على معدن الشخصية وبناء صفاتها الأساسية، جعل المؤلفون فصوله الأربعة تمتاز بالتمارين الذهنية التي تبني مفاهيم مهمة عند الأبناء؛ إذ جاء الفصل الرابع عشر حاملاً في طياته العديد من الأنشطة التي تعزز المفاهيم التي تنمو مع الأطفال إلى سن المراهقة، ثم سن الرشد ومرحلة الشباب، مثل تعليم الحب والصدق والأمانة والثقة بالنفس واختيار الصحبة الصالحة

للأولاد. ثم جاء الفصل الخامس عشر ليرتقي بمفاهيم تنموية عند الأبناء مثل الشجاعة والإبداع والشعور بالمسؤولية ثم تعليم الاستقلالية، وقد انفرد هذا المفهوم بفصل كامل تلاه الفصل السابع عشر الذي لامس الواقع ومشكلاته والتحديات التي تواجه هذا الجيل وآليات معالجة الأثار السلبية للتلفاز والفيديو وألعاب الحاسوب والإنترنت والهواتف الجوالة التي باتت جزءاً من حياتنا يصعب الاستغناء عنها في ظل الشبكة العنكبوتية وما تحمله من برامج تواصل على مدار الساعة، مما جعل الكرة الأرضية قرية صغيرة، لذا أشار الكتاب في خواتمه لهذا الإنجاز العظيم، بالشعور بمخاطر الزائر الغريب العجيب في بيوتنا ألا وهو (التكنولوجيا الإلكترونية) و(الحياة الافتراضية) التي تجاوزت حدود الخيال والرفاهية والرغبة الجامحة عند الأبناء والوالدين، لبلوغ الترف في العيش والخروج عن الطاقة البشرية المألوفة، مما جعل هذا الكتاب يطرح فكرة العودة إلى الأنشطة في الطبيعة، لاستكشاف الطبيعة ومكوناتها، والتحديق بالسماء ومحتوياتها، والتفكر في خلق الله، والتشاركية في اللعب مع أفراد المجتمع بمناطق مخصصة لها مثل الرماية والسباحة وركوب الخيل، والاستماع لأصوات الطبيعة في الحدائق والأنهار والبحار والجبال.

ويرى مؤلفو الكتاب أن التربية الوالدية عمل مهم جداً، فلا تقم به بمفردك، بل كن مع زوجتك كالفريق المتناغم، واستعن بتشكيل مجموعة دعم صغيرة من حولك، فهي عمل يستمر 24 ساعة في اليوم و7 أيام في الأسبوع و365 يوماً في السنة، فهذه وصية المؤلفين للقارئ وللمجتمع، فالأولاد بحاجة إلى قدوة، فإذا لم يتوفر ذلك في الوالدين، عندها قد يُختار غيرهما من الناس، فالأمهات عليهن الدور الحيوي الأهم في عملية تربية الأولاد، وليس من قبيل المصادفة أن الأنبياء موسى وعيسى ومحمد –عليهم الصلاة والسلام– ربتهم جميعاً أمهاتهم منفردات في مراحل حياتهم الأولى. ابذل أقصى ما تستطيع، ثم توكل على الله واطمئن، فما يهم في النهاية ليس ما ملكت من أنواع السيارات أو المنازل أو المدخرات في المصارف، بل في ما إذا كنت والداً صالحاً، ثم جداً معيناً، فلا تنتظر طويلاً، كي لا يفوت الأوان، فلا يوجد نموذج مُرضٍ للتربية الوالدية تحاكي الواقع وهذا العالم المتغير (الطالب، وآخرون، 2019، ص455).